التحذير من التحاسد و التناجش والتباغض

إخوة الإيمان: خطبة اليوم في التحذير من التحاسد و التناجش والتباغض و التدابر، روى مسلم في صحيحه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَنَاجَشُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَا هُنَا، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ، هذا الحديث اشتمل على أحكام كثيرة وفوائدَ عظيمة لبلوغ هذه الغاية الإسلامية النبيلة، وحمايتها من كل عيب أو خلل، حتى لا تُصبح الأخوة كلامًا يهتف به الناس، وخيالًا يحلُمون به ولا يلمَسون له في واقع حياتهم أي أثر، في هذا الحديث النبوي الشريف، ينصح الرسول صلى الله عليه وسلم أمته ويرشدها إلى ما فيه صلاحُها و فلاحُها، وفوزُها ونجاحُها في الدنيا، ونجاتُها من العذاب الأليم في الآخرة، كما وصفه الله بقوله: لقد جاءكم رسول...فالرسول صلى الله عليه وسلم ناصحٌ أمينٌ لأمته، فقد جاء في صحيح الترغيب والترهيب عن ابن مسعود رضي الله عنه أن، رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ليس مِن عمل يقرب من الجنة إلا قد أمرتكم به، ولا عمل يقرب من النار إلا وقد نهيتكم عنه، وفي سنن البيهقي: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَا تَرَكْتُ شَيْئًا مِمَّا أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِهِ إِلاَّ وَقَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ وَلاَ تَرَكْتُ شَيْئًا مِمَّا نَهَاكُمُ اللَّهُ عَنْهُ إِلاَّ وَقَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، وفي الصحيحين: أن أبا هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ..وهذا الحديث الذي بيْن أيدينا اليوم، هو أصل فيما ينبغي أن يكون عليه المسلمون من أنواع التعامل، مِن أبرَزِ صِفاتِ أهلِ الجَنَّةِ صَفاءُ قُلوبِهم، وخُلُوُّها مِنَ الشَّحناءِ والبَغضاءِ، ولذا قال ابن حجر: هذا الحديث حَدِيث عَظِيم اِشْتَمَلَ عَلَى جُمَل مِنْ الْفَوَائِد وَالْآدَاب الْمُحْتَاج إِلَيْهَا، فأصلُ دوامِ الأخوة بين المسلمين: سلامة الصدر تجاه المسلمين ؛وقد حرَص الإسلام على أمر المسلمين بكل ما فيه سلامة الصدر؛ كما حرَص على نهيهم عن كل ما يعكر صفوة الأخوة؛ وفي هذا السياق جاءت أحاديث جامعة، بتعاليمها وأحكامها وآدابها، لِتُعَمق هذه الأخوة الإيمانية؛ ولتجعل المثال واقعًا، فلا بد من عمل تطبيقي ومعايشة لأخوة الإيمان، فيقول صلى الله عليه وسلم: لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَنَاجَشُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، فقوله صلى الله عليه وسلم: لاَ تَحَاسَدُوا، فالتَّحاسُد يكون من الطرفين، بأن يحسُد كلُّ واحدٍ الآخر، يعني: يتمنى زوال النعمة عن أخيه، هذا هو الحسد، فالحسد أن يتمنى زوال النعمة عن أخيه أو يسعى في ذلك، والمعنى: لا يحسُد بعضكم بعضًا، فالحسد مركوز في طباع البشر، فالإنسان يكره أن يفوقه أحد من جنسه في شيء من الفضائل، لكن عليه أن يعالجه، لقوله تعالى: قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها، وينقسم الناس في هذا إلى أقسام: الأول: من يسعى في إزالة نعمةٍ عن المحسود فقط، من غير نقلٍ إلى نفسه، وهو شرهما و خبثهما، وهذا هو الحسد المذموم، والمنهي عنه، الثاني: مَن يحدث نفسه بذلك اختيارًا ويبديه في نفسه، مستروحًا إلى تمني زوال نعمة أخيه، فهذا شبيه بالعزم المصمم على المعصية، الثالث: إذا لم يتمَنَّ زوال نعمة المحسود، بل يسعى في اكتساب مثل فضائله، ويتمنى أن يكون مثله، فهذا يسمى حسد الغبطة، وهو حسد محمود، وهو المعني به في قوله صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين: عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهْوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأطراف النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَهْوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأطراف النَّهَارِ، فالمراد بالحسد هنا هو(الغِبطة) والمعنى: ليس شيء في الدنيا حقيقًا بالغبطة عليه إلا هاتان الخَصلتان: إنفاق المال والعلم في سبيل الله عز وجل، ومن المعلوم أن الحاسد في غم لا ينقطع، ومصيبة لا يؤجر عليها، ومَذمة لا يُحمد بها، ويسخط عليه الرب، ويغلق عنه أبواب التوفيق، وقوله صلى الله عليه وسلم: وَلاَ تَنَاجَشُوا ، فالمناجشة: هي أن يزيد المرء في السلعة، وهولا يريد شراءها، وإنما يريد نفع البائع، أو الإضرار بالمشتري، وقوله صلى الله عليه وسلم: وَلاَ تَبَاغَضُوا؛ أي: لا تتعاطوا أسباب البغضاء؛ فالبغض حرام إلا في الله تعالى؛ فإنه واجب، ومن كمال الإيمان؛ ففي سنن الترمذي بسند حسن أَنَّه صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَنْ أَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ وَأَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَنْكَحَ لِلَّهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهُ، وقوله صلى الله عليه وسلم: وَلاَ تَدَابَرُوا؛ أي: لا يهجُر أحدُكم أخاه، وإن رآه أعطاه دُبُرَه أو ظهره؛ ففي الصحيحين: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِى يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ، وفي صحيح مسلم: تُفْتَحُ أَبْوابُ الجَنَّةِ يومَ الاثْنَيْنِ، ويَومَ الخَمِيسِ، فيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لا يُشْرِكُ باللَّهِ شيئًا، إلَّا رَجُلًا كانَتْ بيْنَهُ وبيْنَ أخِيهِ شَحْناءُ، فيُقالُ: أنْظِرُوا هَذَيْنِ حتَّى يَصْطَلِحا، أنْظِرُوا هَذَيْنِ حتَّى يَصْطَلِحا، أنْظِرُوا هَذَيْنِ حتَّى يَصْطَلِحا[وفي رواية]إلَّا المُهْتَجِرَيْنِ. وأما قوله صلى الله عليه وسلم: وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وصورته أن يقول الرجل لمن اشترى سلعة افسخ لأبيعك خيرًا منها بمثل ثمنها، أو بأنقص منه، ومثل ذلك الشراء على الشراء، كأن يقول للبائع: افسخ البيع لأشتري منك بأكثر، وقد أجمع العلماء على أن البيعَ على البيع والشراءَ على الشراء حرامٌ، أيها المسلمون وبعد أن نهى الرسول صلى الله عليه وسلم أمته من بعض الأمور والأخلاق السيئة والتي قد تكون سببا في ضعفهم، وجلبِ الفرقة بينهم، فها هو صلى الله عليه وسلم يأمرهم ويرغبهم ويحثهم على ما ينفعهم ، ويوحد كلمتهم ، ويقوي شوكتهم، ويؤلف بين قلوبهم، فيقول صلى الله عليه وسلم: وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، فالأخوة بين المسلمين والتأليف بينهم أمر مقصود من مقاصد الشريعة، ولذا حَثَّ الشَّرعُ الحَنيفُ على الإصلاحِ بيْن النَّاسِ ورغَّبَ فيه، حتَّى وإنْ تحقَّقَ ذلكَ بالكذِبِ؛ و ذلك لِمَا يَعودُ بالمصْلَحةِ على المُتباغِضينَ والمُتخاصِمينَ، وإخمادِ رُوحِ العَداوةِ وإزالةِ الخُصوماتِ بين المسلمين اللهم طهر قلوبنا من النفاق والحسد وأعمالنا من الرياء، وألسنتنا من الكذب.

خطبة الجمعة ليوم 14 فبراير 2025 م